الثورة
السبت 10 شعبان 1433 هـ الموافق 30 يونيو 2012م العدد 17392

النازحون دقوا الطبول ورقصوا (السواحلية) في الساحات

أبين بين نشوة الفرح بانتصار الجيش وحسرة الدمار الذي خلفته الحرب

استطلاع / صلاح سيف

بعد إعلان قوات الجيش سيطرتها الكاملة على مدينتي زنجبار وجعار في محافظة أبين وتحريرهما بشكل كامل من فلول القاعدة صباح الثلاثاء ٢٠١٢/٦/١٢م هب بعض نازحي أبين في محافظة عدن إلى فرزة أبين في محطة الهاشمي بمديرية الشيخ عثمان للبحث عن وسائل النقل البري كي تقلهم إلى محافظة أبين لتفقد مدينتهم وديارهم التي تركوها قبل عام قسرا بسبب الحرب وسيطرة أنصار الشر على مدن زنجبار وجعار وشقرة فيما خرج من لم يستطع السفر إلى ساحات المدارس وهم يحملون الطبول والدفوف ويرددون الأناشيد الوطنية والزوامل المعبرة عن اقتراب موعد العودة وانتهاء رحلة معاناة التشرد والنزوح، لكن نشوة الفرح بانتصار الجيش سرعان ما تلاشت عند البعض الذين عادوا إلى أبين ووجدوا منازلهم قد تحولت إلى حطام بفعل المواجهات المسلحة خاصة مواطني مدينة زنجبار الذين صدموا بعد اطلاعهم على حجم الدمار الذي خلفته الحرب في المدينة وحولتها إلى أنقاض وحقول من الألغام يصعب فيها العيش قبل تطهيرها من الألغام التي زرعها أنصار الشر في الشوارع والمباني قبل خروجهم منها مما يجعل المدينة في حاجة ملحة إلى خطة عاجلة لإعادة الإعمار وتوفير الخدمات الأساسية.

عند مدخل مدينة الكود المدخل الغربي لزنجبار، يشعر المرء بمعنى النصر في وجوه الجنود المرابطين على مداخل المناطق والقرى في أبين، إلا أن حجم الدمار في ذات المنطقة يجعل الفرحة لا تكتمل، ويمكن القول أن معظم منطقة الكود متضررة وهو ما يجعل المدينة أمام محنة أخرى يواجهها أبناء زنجبار النازحون، باستثناء المناطق الشمالية منها، حتى المساجد لم تسلم من القذائف وحجم الدمار الذي خلفته الحرب في زنجبار كبير جدا كل الخدمات والمرافق الحكومية دمرت تقريبا مخلفات الحرب مازالت في الشوارع التي تحولت في أجزاء كبيرة منها إلى حفريات متعرجة كخنادق للقتال والبعض الآخر منها مغلقة بالخطوط الحمراء وكتب على ما تبقى من أرصفتها أو جدران المحلات والمنازل عبارات ملغمة بالخط الأحمر دون أن توضع أي حراسات أمنية على مداخلها لتحذير الناس بعدم المرور فيها خاصة الأمين والأطفال الذين لا يجيدون القراءة.

إحصاء حجم الدمار الذي أصاب مدينة زنجبار يبدو صعبا من خلال زيارة لبضعة ساعات خاصة إذا كنت غريبا على المدينة ولا تستطيع أن تتنقل في كل أرجاء المدينة بأمان كما تريد لأن شبح الخوف من الألغام المزروعة تثير الرعب في النفس ، لكني توغلت إلى بعض الأحياء الداخلية للمدينة فشاهدت الكثير من الأهالي الذين عادوا لتفقد منازلهم وأخذ أغراض إضافية منها، للعودة بها إلى مكان النزوح، فتطهير مدينتهم من عناصر «أنصار الشر» لا يعني أنها صارت صالحة للعيش، فهي بحاجة لإعادة إعمار قد يطول عن مدة الحرب التي استمرت عاما كاملا حتى تصبح صالحة للحياة.

إعادة الأمل

■ خالد الربوعي أحد نازحي أبين الذين عادوا لتفقد منازلهم في مدينة زنجبار ألتقيته في زنجبار قاعدا أمام منزله وهو يبكي بعد أن شاهد منزله المكون من طابقين قد تحول إلى حطام يقول خالد: لقد شعرت بفرحة كبيرة بعد إعلان الجيش تحرير مدينتي زنجبار وجعار وكانت فرحة النصر كبيرة لكن عندما شاهدت منزلي قد تدمر بالكامل كما هو أمامك وقد نهبت كل محتوياته أظلمت الدنيا في وجهي مرة أخرى فقد فقدت الأمل باستمرارية الحياة وصار حلم العودة الذي تفاءلت بها مجرد كابوس، فقد تبددت فرحتي وتضاعفت أحزاني وهمومي دمرت الحرب منزلي بالكامل وأصبحت اليوم بلا مأوى، أنا مواطن ليس لدي وظيفة حكومية ولا عملاً ثابتاً أشتغل بالأجر اليومي واليوم أنا مشرد بلا عمل و ظروفي المادية لا تسمح لي بإعادة بناء المنزل.

يشرد قليلا ثم يعود متابعة حديثه والغصة تملأ حلقه: ماذا أقول لزوجتي وأطفالي الذين ينتظرون أن أعود إليهم في عدن كي أخذهم لنعود جميعا إلى زنجبار، لكن يبدو أن هذا قدرنا حكم علينا أن نبقى نازحين في عدن نتجرع ذل الحياة ومرارة النزوح.

ويأمل خالد من حكومة الوفاق ومنظمات الإغاثة الإنسانية بذل أقصى الجهود من أجل التعجيل بسرعة إعادة إعمار منزله ومنازل المواطنين المدمرة من أجل إعادة الأمل إليهم بإمكانية استمرار الحياة حتى يتمكن من العودة مع من تبقى من النازحين إلى ديارهم في أبين، متمنيا أن لا يطول بقائهم في مخيمات النازحين في مدارس عدن فالحياة هناك مرة ومذلة كما يقول.

ماذا بعد النصر العظيم

■ الأستاذ محمد عبدالله أحد نازحي أبين في مديرية خور مكسر بمحافظة عدن عاد إلى زنجبار لتفقد منزله ومن حسن حظه لم يدمر قال لـ«الثورة»: مشاعري بفرحة انتصار الجيش على فلول القاعدة وتحرير مدينتي جعار وزنجبار من أنصار الشر والرذيلة لا أستطيع وصفها واختزالها في عدد من الكلمات فقد تبدل الحلم بين ليلة وضحاها، بالأمس كان التفكير بالعودة إلى مدينة زنجبار عبارة عن أحلام تراودني أنا وأخواني النازحين من محافظة أبين، لكنها اليوم أصبحت حقيقة متاحة بفضل الله وتضحيات إخواننا الأبطال في القوات المسلحة والأمن ومقاتلي اللجان الشعبية من أبناء أبين الأبطال ودعم القيادة السياسية بزعامة فخامة الرئيس هادي ،ولذلك أهنئ نفسي وإخواني النازحين وأبطال القوات المسلحة واللجان الشعبية والقيادة السياسية بهذا النصر العظيم ، الذي فتح لي اليوم طريق العودة إلى مدينة زنجبار وأتمنى أن نرى ما يسرنا بعد هذا النصر بوضع حد لمعاناة النازحين في عدن من خلال قيام الحكومة والقيادة السياسية والسلطة المحلية في محافظة أبين بلفتة إنسانية كريمة في إيواء الناس الذين عادوا وقد تهدمت منازلهم وتخفيف وقع الصدمة عليهم بتوفير بدائل السكن لهم وبذل المزيد من الجهود لإعادة إعمار منازلهم وإعادة تأهيل الخدمات الأساسية والبنية التحتية التي دمرتها الحرب والتخفيف من الآثار النفسية في نفوس الناس ومعالجة الجرحى وإعالة الأسر التي فقدت عائلها.

● 17 مدرسة أساسية و4 مجمعات ثانوية في زنجبار دمرت بنسبة 50%

● جعار قليلة الدمار لكن الأمن غائب والرايات السوداء ما تزال ترفرف

«وناشد» محافظ أبين جمال العاقل بإلزام مدراء المكاتب التنفيذية في محافظة أبين بسرعة العودة إلى ممارسة أعمالهم في المدينة والعمل على إعادة الخدمات الضرورية المتعلقة بحياة المواطن اليومية مثل الكهرباء والمياه والصحة والاتصالات والنظافة وتطهير أبين من الألغام المزروعة وإعادة بناء وتأهيل الأجهزة الأمنية والعمل على استعادة الأمن والسكينة وتوفير الحد الأدنى من الخدمات الأساسية التي تضررت بسبب الحرب من أجل وضع حد لمعاناة النازحين وتشجيعهم في العودة إلى ديارهم.

ويضيف قائلاً: كنت أمل أن أتجول في كل شوارع مدينة زنجبار لكن ضيق الوقت وحظر قوات الجيش من دخول بعض المناطق مثل باجدار وشواطئ الكود والمراقد وحصن شداد ووادي حسان في الضواحي الشرقية حيث يؤكد أحد ضباط اللواء (٢٥) ميكا أن أرض هذه المناطق ظلت ساحة للمعركة والمواجهات المسلحة طوال عام كامل ولذلك هي مليئة بالقذائف والألغام ولم تطهر بعد وبالتالي تشكل خطراً أكبر وحقيقياً على حياة المواطنين عملية تطهيرها بالكامل من حقول الألغام تحتاج لوقت أطول حسب تأكيد ضابط في الجيش الذي فضل أن لا أذكر اسمه.

وأثناء تجوالي في مدينة زنجبار شاءت الصدفة أن نلتقي بالأستاذ ناصر حسين عبدالله الذي تحدث لـ«الثورة» قائلا: إن مكتب التربية قد قام بعملية حصر كامل لعدد المدارس التي دمرتها الحرب وتضررت مبانيها بنسبة (٥٠٪) وتحتاج لإعادة تأهيل.

مؤكدا أن (١٧) مدرسة للتعليم الأساسي و(٤) مجمعات ثانوية دمرت مبانيها بنسبة (٥٠٪) وقد تعرض الأثاث والمختبرات والمكتبات المدرسية وأجهزة الكمبيوتر فيها لعملية النهب بنسبة (١٠٠٪) في الأيام الأولى من سيطرة القاعدة على مدينة زنجبار،

مضيفا أنه ألتقى بالمحافظ جمال العاقل وناقش معه الإجراءات المتعلقة بإعادة تأهيل المدارس التي دمرت في مديرية زنجبار والشروع في تشكيل لجان هندسية لإعداد دراسات وتصاميم لإعادة بناء المدارس المدمرة وأنه تم الاتفاق مع المحافظ على تشكيل اللجان ونزولها للمدارس من أجل إعداد التصاميم الهندسية سيتم خلال الأسبوعين القادمين كحد أقصى.

إلى جعار

بعد زنجبار أتجهت مباشرة نحو مدينة جعار «أكبر مدن أبين» أو ما أسماها المسلحون ولاية «وقار» حيث وجدت الحياة تسير بشكل طبيعي وحركة المواطنين اعتيادية عكس مدينة زنجبار تماما حيث لم تنل مدينة جعار حظا كبيرا من الدمار الذي نالته شقيقتها زنجبار، باستثناء عدد بسيط من المنازل التي طالتها بعض القذائف أما المرافق العامة فقد تعرضت للنهب بشكل كامل مع بعض منازل المواطنين الذين نزحوا إلى عدن.

عند مدخل المدينة يتمركز عدد من أعضاء اللجان الشعبية المناهضين لأنصار الشريعة، إلا أن رايات الجماعة التي سيطرت على المدينة لا تزال ترفرف من فوق رؤوسهم، في الأعمدة الكهربائية وأزقة وجدران الشوارع الداخلية للمدينة ويقول أحمد أحد أعضاء اللجان الشعبية :«إننا بانتظار حملة أخرى لإزالة ما تبقى منها فقد قمنا بإزالة عدد كبير منها «

لكن المواطنين متفائلون وسعداء جدا بدخول قوات الجيش إلى مناطقهم، حيث يقول صالح الخضر: «إن الوضع سيتحسن بإذن الله بعد سيطرة الجيش على المدينة، بعد أن طفح الكيل بنا نتيجة المعارك والمواجهات المسلحة التي لا ناقة لنا فيها ولا جمل.

«ويضيف» لقد كنا مضطهدين لا نستطيع قول شيء، إلا تنفيذ ما يمليه علينا أشخاص قد لا نعرفهم في الغالب فقد عانينا كثيرا بسبب تواجد مسلحي القاعدة في المدينة حيث ارتفعت أسعار المواد الغذائية والاستهلاكية في المدينة بعد أن قطعت طرق التموين حتى وصل سعر كيس الدقيق إلى تسعة آلاف ريال، إضافة لأزمة المشتقات النفطية والحاجيات الضرورية كالماء البارد نتيجة انعدام الكهرباء لكن بعد دخول الجيش عادت الأسعار إلى مستواها الطبيعي،

ويأمل صالح أن يتعاون الجيش مع المواطنين وتستقيم الحكومة مع الشعب، مطالبا بوضع حد للتشرد والتهجير.

الآثار النفسية

■ ويقول حمدان عبدالله العسكر الذي عاد إلى جعار لتفقد منزله: إن الحرب أدت إلى إحداث شروخ في منزله الكائن في مدينة جعار وصار معرضاً للسقوط وغير صالح للسكن،

لكن سقوط منزله وإعادة إعماره ليس همه الأكبر مقارنة بالآثار النفسية والمادية التي تركتها الحرب في نفسه ودمرت معنوياته تماما، حيث كلفته الحرب إصابة ابنته ذو الثمان سنوات بمرض الصرع نتيجة إصابتها بصدمة نفسية بعد سماعها دوي الانفجارات التي أثارت الرعب في نفسية الطفلة وسببت لها صدمة نفسية وقد مر بها على كل المستشفيات لكنها لم تتعافى وأنفق كل ما يملك في علاجها دون أن تقدم له الدولة والمنظمات الإنسانية أي مساعدة في علاج طفلته باستثناء (١٥) ألف ريال من منظمة أنتر سوس، ويتابع حديثه: لقد فقدت وظيفتي التي أقتات منها مع أطفالي بسبب الحرب حيث كنت اعمل مسئولاً للتغذية في مصنع الوحدة للاسمنت.

● الحاجة مريم: شوقي لزنجبار كشوق الذرة المبكر

لذلك سأعود لعدن وأبقى هناك لا يوجد دافع للبقاء في جعار الخدمات غير موجودة والانفلات الأمني يثير القلق في حياة الإنسان فالدولة غير موجودة حتى أبقى في جعار.

ويتمنى حمدان أن توجد الدولة الحقيقية التي تقوم بمسئوليتها الكاملة تجاه مواطنيها فإذا وجدت الدولة سوف تنتهي مشاكل ومعاناة المواطنين لأن وجود الدولة سيحل مشاكل الناس ومعاناتهم التي خلفتها الحرب.

«مضيفا» أنه لن يعود إلى جعار حتى توجد الدولة و تعمل على حل مشاكل مواطنيها من خلال التكفل بمعالجة المرضى وتوفير فرص العمل لكل مواطن فقد عمله.

وطالب «حمدان» المسئولين الدولة سواء في الحكومة أو السلطة المحلية بأن يدعوا منضمات الإغاثة الإنسانية تقدم مساعداتها للنازحين دون تدخل في شئون عملها لأن بعض المسئولين في السلطة لا يريدون منضمات الإغاثة تصرف مساعداتها إلا لتكون تحت إشرافهم من خلال فرض كشوفات وهمية على تلك المنظمات حتى يتمكنوا من الاستيلاء على بعض تلك المساعدات، وبالتالي لا يسمحوا للمنظمات بأن تقدم مساعداتها حسب إحصاءاتها التي تعدها في الميدان من خلال نزول فرقها وقيامها بعملية المسح الميداني.

«مضيفا» أنه ألتقى بمسئولين سويسريين وأمريكان يعملون في منضمات الإغاثة الإنسانية وأنهم شكوا له من تقيدهم من قبل بعض مسئولي السلطة الذين يسعون دوما لافتعال العراقيل أمام منظمات الإغاثة من أجل أن تصرف المساعدات عن طريقهم.

وبعد جولتي في مدينتي زنجبار وجعار كان لابد لي من استطلاع آراء بعض النازحين الذين بقوا في عدن ولم يعودا لمحافظة أبين بعد تحريرها من سيطرة القاعدة في ٢٠١٢/٦/١٢م ومدى مشاعر الفرح الذي تولد في النفوس بعد إعلان تحرير محافظة أبين من فلول القاعدة.

يقول محمد علي قائد من أبناء جعار ويعمل منسقا لمنظمة انتر سوس للمشاريع الصغيرة والأصغر لنازحي أبين في مديرية الشيخ عثمان ما عشته مع إخواني النازحين في عدد من مدارس الشيخ عثمان يوم إعلان النصر من لحظات فرائحية استثنائية تخللتها دقات الطبول والدفوف بطريقة عفوية من قبل النازحين الذين احتفلوا بالنصر بطريقتهم الخاصة حيث رددوا الأغاني والزوامل ورقصوا الرقصة الساحلية في ساحات المدارس للتعبير عن فرحتهم بهذا النصر الذي طال انتظاره بعد عام كامل تقاسمنا خلاله مرارة ومعاناة النزوح والتشرد مع إخواني من نازحي أبين في محافظة عدن وقد فتح انتصار الجيش على انصار الشر الطريق أمام بعض النازحين في العودة إلى أبين ومازال الغالبية باقين في عدن ينتظرون تهيئة ظروف العودة.

ويضيف أن حوالي عشرين أسرة في مديرية الشيخ عثمان من نازحي مدينة جعار غادرت مخيمات النزوح في الشيخ وعادت إلى منازلها في مدينة جعار التي لم تتضرر كثيرا من الحرب مثلما حدث لزنجبار، لكن غالبية النازحين مازالوا في عدن ينتظرون إعادة إعمار منازلهم وإزالة حقول الألغام التي تثير خوف النازحين من العودة إلى الديار، وطالب «قائد» المنظمة الوطنية لنزع الألغام بسرعة التحرك في نزع الألغام التي زرعت من قبل مسلحي القاعدة ومازالت تحصد أرواح الأبرياء حيث قتل أكثر من (٢٢) مواطناً من أبناء أبين الذي دفعتهم الرغبة والحنين في العودة إلى ديارهم لكنهم سقطوا ضحايا للألغام المزروعة نظرا لعدم توفر الوسائل الإرشادية في الشوارع والمناطق الملغمة.

«مضيفا» أن هناك مخاطر حدوث كارثة بيئية في أبين مطالبا وزارة الصحة الشروع في تنفيذ المعالجات الخاصة بالتلوث البيئي خاصة في مديريتي جعار وزنجبار وبعض المناطق المحيطة بهما نتيجة تحلل جثث القتلى ونفوق أعداد كبيرة من الحيوانات.

تقول السيدة ذو السبعين عاما مريم علي أحمد بأنها شعرت بميلاد حياتها من جديد بعد أن سمعت من ابنها خبر تحرير مدينة زنجبار من مجرمي القاعدة الذين فروا من المدينة بعد هزيمتهم على أيدي أبطال الجيش حيث تقول: شعرت بفرحة كبيرة وزغردت كثيرا حتى سحبت حنجرتي لأن شوقها في العودة لمنزلها في زنجبار لا يضاهيه شوق آخر سوى شوق الحجاج لبيت الله الحرام، فهي تعيش منذ ثلاثة عشر شهرا في سجون كبيرة في عدن اسمها «مدارس» مقيدة الحركة لا تستطيع الخروج والتحرك بحرية كما اعتادت أن تفعل في مدينة زنجبار.

لذلك تطالب الحكومة والسلطة المحلية في المحافظة بتمهيد الطريق أمامها من خلال تنظيفها و نزع الألغام المزروعة في الشوارع والوديان والمنازل فلديها أحفاد صغار السن لا يدركون ما يوجد أمامهم في الطريق ولا تريد أن تعيدهم كي يسرقهم الموت منها في أحد الشوارع نظرا لكثافة الألغام المزروعة في كل مكان،

«مؤكدة» أن حنين العودة إلى الديار في زنجبار يراودها كل لحظة لمسقط رأسها حيث نشأت وترعرعت وتزوجت وعاشت كل حياتها بذكرياتها الحلوة والمرة ولذلك تتمنى أن تعود في «غمضة عين» كما تقول لتعيش ما تبقى لها من أيام في مدينة زنجبار حتى تموت وتدفن في أرضها .S